بسم الله الرحمن الرحيم

جعل اللباس الشرعي سلعة في الغرب

(مترجم)

الخبر:

في الآونة الأخيرة، قامت مجلات في الولايات المتحدة بعرض نساء مسلمات يرتدين (الحجاب) وذوات شعبية اجتماعيا على أغلفة المجلات مع مقابلاتهن، مع افتخار محرري المجلة بقدرتهم على تنويع المنابر الإعلامية الخاصة بهم للرأي العام الأمريكي، مدّعين كسر الحواجز.

التعليق:

لست هنا بصدد التفصيل في هوية من ظهر في المجلة وفي أيّة مجلة، حيث لن يكون هذا تركيزي، بل أود التطرق إلى الصورة الأكبر لهذه الأفعال.

اسمحوا لي أن أبدأ بالتعريف الأساسي "للتسليع" الذي هو تحويل السلع والخدمات والأفكار، وليس أقلها الناس، إلى سلع أو أغراض للتجارة. (ويكيبيديا). وبحسب (ميريام وبستر) فإن "التسليع هو علاج (ما لا يمكن أن يُمتلك أو ما للجميع الحق في أخذه) كالمنتجات التي يمكن شراؤها وبيعها".

هنا تأتي قضية "تسليع" لباس المسلمة في الغرب. حيث يؤخذ لباسها خارج السياق - وليس بطريقته الشرعية - بل بنسخته الغربية، بوضع وشاح على الشعر والكتفين لتغطية بعضه أو كله بتبرج كامل (في كثير من الحالات) مع مصورين يلتقطون صوراً لتلك النساء بطريقة تظهر وجوههن وأجسادهن بأكثر الأساليب الجذابة الممكنة بينما يحاولون تصوير ما تحققه المسلمة من إنجاز.

إن الوقوف بشكل يمكن تفسيره على أنه أخلاق مغرية وجذابة ليست وسيلة لالتقاط جوهر المرأة المسلمة في لباسها... حيث ترتدي ملابس ومنتجات المسوقين أو الراعين في حين لا يتم تصوير حقيقة أساس معتقداتها. تنقل عدسة الكاميرا في عالمنا المعاصر المنظور الذي من خلاله يتم نقل الأفكار وإيصال الرسائل، وينطبق ذلك بصفة خاصة عند الإشارة إلى وسائل الإعلام وليس التواصل وجها لوجه. إن النساء المسلمات حتى إذا كانت نواياهم في البداية جيدة ومخلصة في تسليط الضوء على غيرهن من النساء المسلمات وإبراز إنجازاتهن العظيمة في الغرب وخاصة أن هناك الكثير من العقبات أمام طريقهن في النجاح بما أن عددهم كثير في التحيز ضد المرأة، والتمييز العنصري والإسلاموفوبيا الذي بدوره، بطريقة أو بأخرى، يشكل عائقاً بين المرأة المسلمة الحازمة وأهدافها. حتى عندما تحقق نجاحا كبيرا في أعمالها، يجدر بها التعبير عن جهودها وإلهام النساء والفتيات المسلمات الأخريات بذلك... هنا تأتي مخالب الشركات المتعطشة للمال في محاولة لتحويل قصة نجاح إلى استثمار يبلغ الملايين.

إن التعمق في هذه السوق، يجعلنا نرى أن الرأسماليين يرون كميات هائلة من علامات الدولار لأن سوق النساء المسلمات لا تقتصر على عِرق معين أو منطقة ما في العالم، إن الإسلام هو الدين الذي يحتضن جميع الألوان والأجناس والأصول، وقد أثبتت دراسات أخرى أن النساء هن أكثر المستهلكين للملابس ومستحضرات التجميل. هنا يأتي استخدام "تسليع"، وهو أن يكسب المال من الناس وإنجازاتهم أو مبادئهم، ما يجعل أحدا يهز رأسه باشمئزاز، حيث كيف يخطر ببال كبار رجال الأعمال بالحفر في هذا القطاع واعتباره سوقا غير مستغلة قابلة للحياة! والأمثلة على ذلك عديدة، كالعباءات المصممة على الطريقة الغربية، ومسلمون يرعون مستحضرات التجميل والملابس الرياضية و(البوركيني). هناك نساء مسلمات يحاولن البقاء فوق هذا التسليع، ويقلن إن هذا من أجل الدعوة لإلهام الفتيات الصغيرات المسلمات لكسر الحدود، والاندفاع بقوة لتصبح ناجحة في عملها.

هنا أود أن ألفت الانتباه إلى عبارة: "عملها"... إن الأعمال هي التي تحدد هوية البشر، ولا يعمل الرجال وحدهم بينما تقوم النساء بارتداء الملابس المغرية والثمينة مع تبرج كامل على الوجه لحمل أفكارهن، في حين يرتدي الرجل الملابس بأناقة وحياء. هذا هو الكيل بمكيالين المتأصل في الغرب حيث تعيش النساء في دوامة الاستغلال والتسليع.

إن النساء من جميع الألوان والأديان يتأثرن سلبا من هذه العقلية الغربية المقززة - إنجازات المرأة تنخفض إلى المظهر وليس أي مظهر - يتم احتجازهن لمعايير الجمال الغربية، حتى كقاعدة عامة نادرا ما نرى النساء ذوات الإنجاز العظيم كبيرات في السن أو لسن بمقياس جمال "العارضات"، لا نراها في مقابلات في زيها الإسلامي الاعتيادي لأن تلك المقابلات لن تباع وفقا للمعايير التجارية الغربية. أو أنه يتم تصويرها في موضع عملها الفعلي كالمختبر أو المدرسة أو المستشفى لأن ذلك سيكون المتوسط والمتوسط لا يبيع. بل إن الجدل، والجاذبية، والشهوة، والأغراض الجنسية التي تروق للحواس والغرائز هو ما يجلب الملايين من الدولارات وإن كانت هذه "السلعة" هي مسلمة فلا مانع من ذلك. قد يكون من السطحية قليلاً الافتراض بأن هدف الولايات المتحدة هو عرض تنوع بلدهم ورعاياهم. فإذا كان الأمر كذلك، فإن السياسات الحكومية تعمل على دمج السياسات الداخلية المتناغمة في تحقيق المساواة بين الجنسين والأعراق في مختلف القطاعات والقضاء على العنصرية، وليس العكس بإيجاد أحقاد جديدة مثل الخوف من الإسلام.

ومن أقصى درجات الخطر أن ترى النساء المسلمات اللباس الشرعي بمثابة عرض أزياء للمجتمع. يتعرض لباس المرأة المسلمة لهجوم شرس لتصويره مجرد قماش في المجتمع الغربي، ونحن كما يجب علينا كمسلمات الرد بقوة على هذا الهجوم. هنا يأتي دور الدعوة في بيان السبب الرئيسي لارتداء النساء المسلمات اللباس الشرعي الذي هو تجسيد للمرأة المسلمة التقية، وهنا أود أن أشير إلى أن البعض يهاجم من ترتدي الحجاب الكامل لكونهن متدينات، في حين المسلمات اللواتي يرتدين وشاحاً هن أكثر اعتدالا وسوف يقبلن بسهولة أكبر في المجتمع الغربي. إن هذه العقلية هي إحساس مشوه لمفهوم اللباس الشرعي، لأنه أمر من الله ويعلم وحده سبحانه النوايا والأعمال الخفية لعباده، ولذلك، فإن استخدام هذه الحجة هنا تعتبر باطلة.

ومن المهم أن تصور النساء والفتيات المسلمات الصورة الصحيحة للإسلام - والأهم من ذلك هو عرض المفاهيم الصحيحة للإسلام ـ ما يعني أنه إذا كان العمل الوحيد الذي يستطيع الشخص عمله هو شخصنة اللباس الشرعي، فلتفعل ذلك تبعا للطريقة التي أمر بها الله تعالى في ذلك لا أن ترتديه وفقا لمعايير الحجاب الليبرالي الغربي الذي يجمع بين التبرج ومثلهم العليا. جسّدي الصفات التي دعا لها الله سبحانه وتعالى: التواضع، والقوة، والذكاء، والشرف والكرامة والشجاعة والإلهام والتشجيع والأمر بالمعروف، كل هذه الصفات وأكثر من ذلك بكثير مجسدة في أمر واحد - وهو واجب اللباس الشرعي الكامل - ما يمكنه أن يلهم النساء والفتيات المسلمات اللواتي يعانين من اللباس الشرعي بسبب الخوف من المضايقة أو عدم القبول أو التهجّم.

صحيح أن النساء في بلاد المسلمين يستطعن بسهولة ارتداء الحجاب الكامل وبقبول أكثر مما هو عليه في البلاد الغربية حيث يواجَه فيها المسلمون للأسف ويتعاملون مع الإسلاموفوبيا، حيث المجتمع غارق في صور مشوهة وكاذبة عن الإسلام والمرأة في الإسلام. هنا كقدوة مسلمين لهذه الإناث، فإننا نشرح المفاهيم التي من شأنها أن تعطي القوة والشجاعة لارتداء اللباس الشرعي بثقة كاملة على الرغم من أي شكل من أشكال الرفض أو المضايقات التي يمكن للمرء أن يتعرض لها لكسر الصور النمطية الضارة السلبية المفروضة على الناس الجاهلين؛ كل ذلك هو من أجل الله سبحانه وتعالى وهو وحده من يثيب من ترتدي الحجاب ويزداد ثوابه كلما ازداد الكفاح للامتثال لأوامره سبحانه. لذا، فإن القضية بالنسبة للمرأة المسلمة ليست قماشاً يغطي الشعر والجسم بل هو خضوع لأوامر الله الحكيم العليم.

لا تسمحوا لتسليع المسلمات أو مُثُلهن، فإن إسلامنا ليس سلعة متوفرة لمن يدفع أكثر.

كتبته لإذاعة المكتب الاعلامي المركزي لحزب التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

منال بدر